

برنامج أنوار كاشفة سلسلة رمز وحقيقة الحلقة الخامسة عشرة

الماء وضرب الصخرة

بدأنا قبل عدة لقاءات بالحديث عن سفر الخروج ، الذي هو ثاني أسفار الكتاب المقدس . لنكتشف المزيد من المعاني والرموز التي تشير إلى خطة الله الأزلية لإنقاذ الإنسان، والمخلص المسيح .

وكنا قد تأملنا بخروف الفصح الذي كان يرمز إلى المخلص المسيح . وتأملنا أيضا بسيرة النبي موسى ، والتي أشارت وفي نواحي عديدة إلى المخلص المسيح . وفي اللقاء السابق تحدثنا عن المن الخبز الذي أنزله الله من السماء ، لكي يُطعم الشعب قديما في البرية . وتبين لنا أن المن كان يرمز إلى المخلص المسيح ، الخبز الحي الذي نزل من السماء ، لكي يهب الحياة لكل من يؤمن به .

وفي لقاء اليوم سنتأمل بحادثة أخرى ، مشابهة لحادثة إنزال الله المن من السماء . وتحدث عن عنصر آخر من عناصر الحياة الضرورية . وسنكتشف كالمعتاد إلى ما تشير إليه وترمز .

يخبرنا سفر الخروج من الكتاب المقدس ، أن العبرانيين تابعوا ارتحالهم في برية سيناء ، ونزلوا في بقعة اسمها ريفيديم . ولم يكن هناك ماء ليشرب الشعب . فتذمر الشعب على موسى قائلين : " لماذا أصعدتنا من مصر لتميتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش ؟ فصرخ موسى إلى الرب قائلا : ماذا أفعل بهذا الشعب ؟ بعد قليل يترجمونني . فقال الرب لموسى : مر قدام الشعب وعصاك التي ضربت بها النهر خذها في يدك واذهب . ها أنا أقف أمامك هناك على الصخرة في حوريب ، فتضرب الصخرة فيخرج منها ماء ليشرب الشعب . ففعل موسى هكذا . " (خروج ١٧: ٣-٦)

حادثة طبيعية تكشف لنا ، عن مدى سرعة تدمير الإنسان ، وتزعزع ثقته بالله عند تعرضه لأية ضيقة . رغم أن الله قد أجرى في وسطه العديد من العجائب . وتؤكد لنا هذه الحادثة في المقابل ، أمانة الله المستمرة مع أولاده ، حتى عندما يتخلون عنه . وهل من المعقول أن يترك الله الشعب يموت عطشا في البرية ؟ وخاصة بعد أن أجرى معه كل تلك المعجزات الباهرة .

لقد ضرب موسى الصخرة ، كما أمره الله ، فخرج منها ماء غزير وعذب ، شرب منه الشعب وارتوى ، وتم إنقاذه من الموت عطشا . فإلى ماذا ترمز الصخرة التي ضربت ؟ وإلى ماذا يشير الماء العذب الذي خرج منها ؟

أجاب الرسول بولس - من رسل المسيحية الأوائل - في رسالته الأولى إلى المؤمنين في كورنثوس ، عن هذه التساؤلات ، وكشف عما تشير إليه هذه الحادثة وترمز . إذ كتب عن الشعب قديما قائلاً : " وجميعهم شربوا شرابا واحدا روحيا . لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم . والصخرة كانت المسيح . " (كورنثوس الأولى ١٠: ١٤)

بالطبع ، لم يكن الرسول بولس يجهل أن الشعب ارتوى من الماء الطبيعي ، إذ كان بحاجة إليه لكي لا يموت عطشا . وأن الصخرة كانت أيضا صخرة طبيعية ، ضربها النبي موسى كما أمره الله ، لكي يخرج منها الماء . لكنه مع هذا تجرأ على القول وبوحي من روح الله القدوس ، أن الماء الذي شربه الشعب كان ماء روحيا . وأن الصخرة كانت هي المخلص المسيح ، أو بمعنى آخر كانت ترمز وتشير إليه .

ولقد أكد المخلص المسيح نفسه أنه هو الصخرة حجر الأساس ، أو رأس الزاوية الذي سيقوم عليه بناء ملكوت الله . ولهذا اقتبس آية وردت في سفر المزامير ، لكي يؤكد هذه الحقيقة الهامة . تقول الآية : " الحجر الذي رفضه البنائون قد صار رأس الزاوية . من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا . " (مزمور ١١٨: ٢٢ و٢٣) . أي أكد المسيح أنه هو الحجر ، الصخرة ، رأس الزاوية الذي يقوم عليه بناء الله .

وأعاد الرسولان بطرس وبولس تكرار هذه الحقيقة في رسائلهما ، مؤكدين أن يسوع المسيح نفسه حجر الزاوية ، وأن الذي يؤمن به لن يخزي . وهو بنفس الوقت حجر صدمة ، وصخرة عثرة لكل من لا يؤمن به .

لعل السؤال الآن هو : كيف صار المسيح هو الصخرة التي يجب أن يستند عليها الإنسان لكي يخلص ؟ وكيف يروي المسيح عطشه الروحي ؟ وما هو هذا الماء الحي الذي يقدمه ؟

تخبرنا كلمة الله أن المخلص المسيح هو الصخرة ، التي يجب أن يستند عليها إيماننا لكي نخلص . إن الإيمان بالمخلص المسيح وعمله الكفاري على الصليب ، هو وحده الذي يخلص الإنسان ، ويجعله يحصل على هبة الله .

ولنلاحظ أنه كما أمر الله كليمه موسى ، أن يضرب الصخرة لكي يخرج منها الماء العذب ، هكذا المسيح الصخرة الروحية ، ضُرب من أجل معاصينا ، عندما مات على الصليب . ولهذا تنبأ النبي أشعيا عن الكيفية التي سيضرب بها المسيح ، وقبل مجيئه بمئات السنين ، إذ تنبأ عن المسيح قائلاً : " لكن أحزاننا حملها ، وأوجاعنا تحملها ، ونحن حسبناه مصابا مضروبا من الله ومذلولا . ثم أضاف قائلاً : " من الضغطة ومن الدينونة أخذ وفي جيله من كان يظن أنه قُطع من أرض الأحياء ، أنه ضُرب من أجل ذنب شعبي . " (أشعيا ٥٣: ٨ و٤)

يبدو واضحا من هذه النبوءة أن المخلص المسيح ضُرب من قبل الله نيابة عنا ، عندما عُلق على خشبة الصليب . فهو البار ضُرب لكي يكفّر عن ذنوبنا ، ويهبنا الخلاص الأبدي .

لكن ، كيف يُروي المسيح عطش الإنسان الروحي ؟ وما هي طبيعة الماء الذي يهبه لكل من يؤمن به ؟ للإجابة عن هذه التساؤلات لا بد أن نعود إلى كلام المخلص المسيح نفسه عن هذا الموضوع .

فقد وقف مرة المسيح المخلص في الهيكل بأورشليم ، ونادى قائلاً : " إن عطش أحد فليقبل إلي ويشرب . من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماء حي . " (يوحنا ٧: ٣٧)

إن الإنسان بطبيعته الفاسدة الخاطئة ، لا بد أن يحس بالظماً والعطش الروحي . ومهما حاول الإنسان أن يروي هذا العطش ، ومن مصادر متنوعة ، فلن ينجح . لكنه يستطيع أن يروي عطشه الروحي ، إذا لجأ إلى المخلص المسيح وآمن به . أي آمن بموته الكفاري على الصليب من أجله ، وقيامته المجيدة من بين الأموات . إن المسيح هو الصخرة الروحية التي تروي نفوسنا العطشى .

أما الماء الحي الذي يهبه المسيح لكل من يؤمن به ، فهو روح الله القدوس . روح الله الذي يجدد كيان الإنسان المؤمن ، ويملاً قلبه من الداخل . وهكذا يصبح خليفة روحية جديدة ، ويحظى بسلام الله العجيب . هذا هو الماء الحي الذي يروي الإنسان حقاً . ويعطيه قوة لكي يسلك في طريق الصلاح والخير ، ويتجنب في نفس الوقت أفعال الإثم والشر . حقاً ، إنه اختبار مجيد وعجيب اختبره ملايين الأشخاص على مدى الأجيال .

وفي حوارهِ مع المرأة السامرية ، أوضح لها المخلص المسيح أنه هو معطي الماء الحي . وعندما سألته مستغربة من أين لك الماء الحي ؟ أجابها قائلاً : " كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضا . ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية . " (يوحنا ٤: ١٣ و ١٤)

أجل ، صديقي، ألم تحاول مرات كثيرة إرواء نفسك العطشى في صحراء هذا العالم القاحلة ؟ لكن لم تجد سوى السراب الخادع ، وأن ظمأك قد ازداد بدل أن ينقص . إن ملذات هذا العالم لن تروي غليلك أبداً . إن نفسك لن ترتوي حقاً ، إلا إذا لجأت إلى المخلص المسيح ، الصخرة التي ضُربت عوضاً عنك ، لكي ترتوي من مائه الحي الفياض . هذا الماء الذي يبقى حياً معك إلى الأبد .

لقد روى الشعب قديما أجسادهم ، عندما شربوا من الصخرة ، ونجّوا أنفسهم من الموت عطشا. أما نحن اليوم فبإمكاننا أن نروي نفوسنا العطشى إلى الأبد ، إذ ننال خلاصا أبديا ، وليس خلاصا مؤقتا .

ألا تود صديقي أن ترتوي حقا ؟ لما لا تلتجئ إلى الصخرة الروحية التي أعدها الله من أجلك. هذه الصخرة التي ضُربت لكي يرتوي من مائها الحي كل من يؤمن . فهل تراك تُقبل الآن ؟